# حوار لمعرفة الأفضل من الأعمال




◄الإنسان مفطور على السعي إلى الأفضل من كلّ ِ شيء يخصّ ُه، وما دام الأمر يتعلّق بالإسلام، فإنّ المسلم الحقّ َ يحاول تبيّ ُن السبيل المثل لأداء فرائضه وواجباته، من هذا القبيل كانت حوارات عديدة، منها الحوار الآتي:

(أخبرنا عبدالوهاب بن عبدالحكم عن حجّاج قال ابن جريج: أخبرني عثمان بن أبي سليمان عن علي الأزدي عن عبيد بن عمير عن عبدا بن حُبْشي أنّ النبي (ص) سُئِل:

أيّ ُ الأعمال أفضل؟

قال: "إيمان لا شكّ فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحجّة مبرورة.

قيل: فأيّ ُ الصلاة أفضل؟

قال: طول القنوت.

قيل: فأيّ ُ الصدقة أفضل؟

قال: جهد المقلّ ِ.

قيل: فأيّ ُ الهجرة أفضل؟

قال: من هجر ما حرّ َم ا عزّ وجلّ.

قيل: فأيّ ُ الجهاد أفضل؟

قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه.

قيل: فأيّ ُ القتل أشرف؟

قال: من أ ُهريق دمه، وع ُقِر جواده").

السؤال الأوّل: أي الأعمال أفضل؟ والجواب إجمال يتضمن ثلاث ثوابت: أوّلها الإيمان الذي يرتقي إلى مستوى اليقين، وهو الإيمان الراسخ المقترن بالإخلاص والعزم وتعلّ ُق القلب با تعالى، ومثل هذا الإيمان يولّ ِد خشوعاً في القلب، وخشوع القلب يتبعه خضوع  تعالى، وتسليم من العبد.

والإيمان الراسخ يوجد حالة تديّ ُن عند المسلمين، والتديّ ُن يحتاج للقوة التي تحمي وتصون، ونشر الدعوة محتاج لقوة تزيح العوائق من الظالمين وأعداء الحقّ ِ، وذلك لا يحققه إلا جهاد هو عماد الأ ُمّة، لكن هذا الجهاد يجب أن يكون مع قِيَم حدّ َدها الإسلام للحرب، إذ للجهاد أهداف ومقاصد سامية، وليس من باب الانتقام أو التشفّي، أو الهوى الشخصي. وبالمقابل يبيّن هذا الحديث بأنّ الجهاد من الأعمال الأفضل التي تحتاجها الأ ُمّة، ولا يصح من أحد أن يعطّ ِله، أو أن يلتفت عليه من خلال تفسيرات موهومة يصوغها بعضهم إرضاء لبعض الجهات.

أما الحج المبرور فقد جاء في إجمال القول عن أفضل الأعمال، لأنّ الحاجّ َ إذا أدّى الفريضة وفق الأصول يخرج من حجّ ِه كما ولدته أمّ ُه مبرأً من الذنوب والآثام، وبذلك يكون قد ظفر بفرصة كبرى عليه أن يحفظ نفسه بعدها من مزالق شطوط المفاسد، وأن يلوذ بحمى الفضائل ومحاسن الخلق والسلوك. والوجه الآخر هو أنّ الحج يربط المسلم مع الأصل المكاني من خلال أركانه في مكة المكرمة، إضافة إلى الارتباط العبادي بالأصل المتقرب به إلى ا تعالى من خلال الارتباط مع إبراهيم وإسماعيل (ع) ثمّ الاقتداء بمحمّد (ص) القائل: "صلّ ُوا كما رأيتموني أصلّ ِي".

ثمّ كان السؤال الثاني عن الصلاة الأفضل، لأنّ الصلاة ركن، وهي عمود الإسلام، وتحقق الصلة مع ا تعالى، والصلاة دعاء، وهنا يأتي الجواب من رسول ا: إنّ الصلاة الأفضل؛ أي: الدعاء الأفضل: طول القنوت. والقنوت دعاء فيه تقرّ ُب ورجاء وطلب وذكر، وفيه دعاء على الأعداء، وطلب للنصر عليهم بتأييد إلهي.

بعدها جاء السؤال عن الصدقة، والصدقة إنفاق في سبيل ا تعالى، ومن خلاله يتحقق التضامن الاجتماعي والتكافل، حيث يقدم المقتدر العون لصاحب الحاجة، وهذه الصدقة تكون الأفضل حين يقدّ ِمها مَن كان من قليلي الثروة والملكية، والذي تطيب نفسه بالإنفاق رغم ذلك.

أما الهجرة الأفضل فهي أن يغادر العبد كلّ ما نهى ا تعالى عنه من وجوه الحرام، وأن يمارس ذلك خوفاً من ا تعالى وطاعة له سبحانه، وهذا لا ينتقص من قدر الهجرة في سبيل ا من المكان عند الضرورة، أو يهاجر الإنسان بمشاعره وأفكاره متساميا ً فوق المحيط الذي يكون فيه باتجاه علوي، أو عندما يجد صخباً وتشويشاً في مكان ما فيغادره كي لا يشترك مع الخائضين، ومن الهجرة ما كانت لكلّ ِ أنواع المفاسد التزاماً بالآية الكريمة: (وَالرّ ُجْزَ فَاهْجُرْ) (المدّثر/ 5).

ويعود السؤال مجدداً إلى الجهاد لمكانته في سيرورة الدعوة، ومقاومة الظلم والباطل، ولأنّ المسيرة لا تستقيم بدونه. إنّ مجاهدة الأعداء، أعداء الدين والأ ُمّة، وكلّ غاصب محتل واجب ماضٍ في الأ ُمّة، ويكون الجهاد بكلّ ِ وسيلة، ومن ذلك الجهاد بالكلمة والقلم والمال والنفس والفن والأدب والإعلام والاقتصاد، وكلّ موهبة يمتلكها الإنسان، والحديث النبوي جاء في هذا الحوار مؤكداً على الأمر الوارد في قوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّ َهِ) (التوبة/ 41).

وجاء السؤال الأخير في هذا الحوار مجدداً حول الجهاد والاستشهاد فكان: "أيّ ُ القتل أشرف"؛ ما دام الإنسان سيقدم نفسه في سبيل ا تعالى، فإنّ المجاهد يريد أن يكسب المزيد من الأجر، ولذلك يجب أن يعرف أي القتل أشرف؟ ويأتي الجواب: إنّ القتل الأشرف هو إقدام شخص وشجاعته مع التضحية بنفسه وإهراق دمه ومعه آلة الحرب، ونموذجها جواده، وقد أرشدت إلى ذلك الآية الكريمة: (إِنّ َ اللّ َهَ

اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة/ 111).

إنّ هذا الحوار لمعرفة الأفضل من الأعمال ورد فيه الجهاد والفداء في ثلاثة مواقع من السؤال والجواب، وهو كافٍ لإعطاء الدرس لكلّ من يعمل لمرضاة الله تعالى كي يعرف موقع الجهاد في الإسلام.

وإذا كانت مواقع من البلاد محتلة مغتصبة هذه الأيام، وأوّلها وأولاها بالعناية فلسطين والقدس والمقدسات، وتليها المواطن والمواقع كافة لمنع كلّ هيمنة من الأعداء على حقٍّ من حقوق الأُمّة، فإنّ الجهاد يكون أفضل الأعمال وليس بين الأفضل منها.

لقد وردت حوارات عديدة في السياق نفسه فيها ما كان يضيف عملاً آخر بين الأفضل، ومنها ما كان يؤكد، وفيها جميعاً تتكرر الصلاة، ويتكرر الجهاد.

من هذه الأحاديث: (عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن مسعود (رض) قال: سألت النبي (ص): أي الأعمال أحبّ إلى الله تعالى؟

قال: "الصلاة على وقتها".

قلت: ثمّ أيّ؟

قال: "برّ الوالدين".

قلت: ثمّ أيّ؟

قال: "الجهاد في سبيل الله").

المصدر: كتاب الحوار في الإسلام (آدابه وقواعده)